

## المبحث الأول

### مدخل إلى علم الكلام

أولاً : تعريف الكلام

ثانياً : أهم أسماء علم الكلام

ثالثاً : موضوع علم الكلام وفائدته في نظر علمائه

رابعاً : علم الكلام بين المهاجمين والأنصار.

## المبحث الأول مدخل إلى علم الكلام

أولاً: تعريف علم الكلام:

يُعرّف «أبو النصر الفارابي» علم الكلام فيقول: «صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرته الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل»<sup>(١)</sup> أما الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ). فيقول: «إن مقصود علم الكلام هو حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الفارابي «إحصاء العلوم» تحقيق الدكتور عثمان أمين. القاهرة ١٩٣١ ص ٦٩. ويميز الفارابي بين علم الكلام والفقه فيقول أن علم الكلام يتعلق بنصرة العقائد التي صرح بها واضع الملة، أما علم الفقه فيتعلق باستنباط العقائد والشرائع جميعاً. فعلم الفقه عند الفارابي هو الصناعة التي بها يقتلر الإنسان على أنه يستنبط تقدير شيء مما لم يصرح به واضع الشريعة. أما علم الكلام فهو صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرته الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل. ونلاحظ أن الفارابي لا يسائر العلماء الذين يفرقون بين الفقه والكلام، بأن ما يتناول الجانب العملي من الشريعة فهو الفقه، وما يتناول الجانب النظري فهو علم الكلام.

(٢) الغزالي المتخذ من الضلال: ص ٦.

ويستفق ابن خلدون (ت ٧٨٤) مع الإمام الغزالي في هذا الرأي فيعرف علم الكلام: (بأنه علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مناهب السلف وأهل السنة.

مقدمة ابن خلدون تحقيق علي عبد الواحد وإي ١٩٦٠، طبعة أولى ج ٣ فصل الكلام ص ١٠٣٥. كما يتفق عبد الرحمن الأبيحي (ت ٣٧٣هـ) معهم في هذا الرأي

ويقول سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ): «الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية. ومسائله القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية، وغايته تحلية الإيمان بالإيقان، ومنفعته الفوز بنظام المعاش ونجاة المعاد، وغاية الكلام أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متيقناً محكماً، لا تزلزله شبه المبطلين، ومنفعته في الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج إليها في بقاء النوع على وجه لا يؤدي إلى الفساد، وفي الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد»<sup>(١)</sup>.

كذلك كان موضوع علم الكلام عند الأبيجي فهو «المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقيدة الدينية، تعلقاً قريباً أو بعيداً وقيل: هو ذات الله تعالى، إذ يبحث عن صفاته، وأفعاله في الدنيا، كحدوث العالم، وفي الآخرة كالحشر، وعن أحكامه فيهما، كبعث الرسول ونصب الإمام والثواب والعقاب»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ذلك أنه كان من أهداف علم الكلام الدفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء أعداء الدين ومعرفة الذات والصفات وبعث الرسول، والفوز بنعيم الآخرة، وحقيقة الجنة والنار. فعلماء الكلام هم الذين

---

فيقول: «الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، المراد بالعقائد: ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية: المنسوبة إلى دين محمد ﷺ فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام (المواقف للأبيجي ص ٧ تصوير مكتبة المتبي بالقاهرة).

(١) شرح سعد الدين التفتازاني ج ١ ص ٥-١٠، باختصار.

(٢) المواقف للأبيجي ج ١ ص ٣٤.

يتخذونَ العقلَ وسيلةً لإثبات العقيدة والدفاع عنها بالنظر العقلي .  
ويقول الدكتور: محمد عبد الهادي أبو ريذة<sup>(١)</sup>: «كان النظر في الدين بأحكامه وعقائده يسمى فقهاً، ثم خصت الاعتقادات باسم الفقه الأكبر، وخصت العمليات باسم الفقه، وسميت مباحث الاعتقادات بعلم التوحيد أو الصفات -تسمية للبحث بأشرف أجزائه- أو علم الكلام، لأن أشهر مسألة قام حولها الخلاف هي مسألة كلام الله، أو لأنه يورث قدرة الكلام في الشرعيات كالمنطق في الفلسفيات، أو لأنه كثر فيه الكلام على المخالفين ما لم يكثر في غيره، ولأنه بقوة أدلته كأنه صار هو الكلام دون ما عداه كما يقال في الأقوى من الكلامين: هذا هو الكلام».

وطاش كبرى زاده (ت ٩٤٨) في مفتاح السعادة يقول عن علم الكلام أنه: «علم يقندر معه على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها... ويشترط في الكلام أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل، وأن تكون العقيدة مما وردت في الكتاب والسنة. ولو فات أحد هذين الشرطين لا يسمى كلاماً أصلاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) في حاشية (١) ص ٩٥، من ترجمته لكتاب دي بور: تاريخ الفسلفة في الإسلام القاهرة ٥٧ وقد استند في هذا القول على مجموعة مصادر متعددة في الفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام.

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ج ٢ ص ١٥٠. ونفس التعريفات المتقاربة المعنى والهدف يذكرها صديق خان -رحمه الله- ت ١٣٠٧هـ. فيقول في أبعاد العلوم: (علم الكلام علم يقندر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها. وموضوعه ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته عند المتقدمين، وقبل موضوعه الموجود من حيث هو موجود. فموضوع علم الكلام عند

وهنا يتفق طاش كبرى زاده مع المناصبين لعلم الكلام في بيان أهمية الشبه عن العقيدة وتأييده الشرع باستخدام النظر العقلي.

والحقيقة أن هناك تعريفات عديدة لعلم الكلام من أشهرها تعريف ابن خلدون في مقدمته: «أنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة»<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أن هذا التعريف يبدو فيه غلوًا وتجاوزًا خصوصًا إذا علمنا أن السلف الصالح هجروا هذا العلم، ونهوا أصحابهم عن الاشتغال به؛ لأنه علم جدل وحجاج، ومع ذلك فإن هذا التعريف كما سنرى - بعد ذلك - يعتبر من أبسط التعريفات وأوضحها وأشملها. أمّا تعريف الفارابي الذي ذكرناه من قبل أنه: «ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزيف كل ما خالفها بالأقاويل»<sup>(٢)</sup>.

فيقصد بالأقاويل الأدلة العقلية التي يستخدمها علماء الكلام في نصره وتأييد المسائل العقديّة والدفاع عن مذاهبهم.

ويقول عالم الكلام عبد الرحمن الإيجي، في كتابه "المواقف في علم الكلام" علم الكلام: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد

أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع حيث يستدل عليها بالأدلة العقلية). أيجد العلوم لصديق خان جـ ٢ ص ٥٨٩ وما بعدها باختصار.

(١) ابن خلدون، المقدمة، بيروت، ص ٤٥٨. ١٩٧٨ م.

(٢) الفارابي، أبو نصر، إحصاء العلوم، تحقيق الدكتور/ عثمان أمين، مكتبة الأنجلو،

الحجج ودفع الشبه»<sup>(١)</sup>.

وإن هذين التعريفين للفارابي والإيجي يؤكدان على أن عالم الكلام إذا كان متمكناً من علمه فإنه في رأيهما يمكنه أن يرد على خصومه وأن ينتصر لعقائده ويدافع عن مبادئه، ويرد الشبه عن أصوله عن طريق الجدل والنقاش العقلي.

ويعرف سعد الدين التفتازاني علم الكلام بأنه: «يعرف بالعلم الباحث عن أحوال الصانع، وفي صفاته الثبوتية والسلبية وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا والآخرة، أو عن أحوال الواجب وأحوال الممكنات في المبدأ والمعاد على قانون الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ويعرفه أيضاً بأنه: "العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية"<sup>(٣)</sup>.

وكبدا يعرفه الشريف الجرجاني بأنه: «علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

ومن الملاحظ أن تعريف التفتازاني، والجرجاني يتناولان من خلاله موضوعات علم الكلام، وأهم مباحثه وأشرفها: ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، وإثبات العقائد الدينية، فهو علم يأخذ بمنهج البحث

(١) الأيجي، عبد الرحمن، المواقف في علم الكلام؛ شرحه الشريف الجرجاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٧م.

(٢) التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ص ١٧٩. بيروت، ١٤٠٩هـ.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٣.

(٤) الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ص ١٩٤، ١٩٧٨م.

والسنظر والاستدلال العقلي كوسيلة لإثبات العقائد الدينية التي تثبت بالوحي<sup>(١)</sup>.

لكن أطول تعريف لعلم الكلام جمع معظم ما قيل من تعريف هذا العلم هو تعريف صاحب كشف اصطلاحات الفنون الشيخ المولوي محمد علي بن علي التهانوي، ويُعد من أشمل التعريفات وأوضحها، ولهذا فنحن نورد في ملحق هذا الكتاب لشموله ووضوحه.

### ثانياً: أهم أسماء علم الكلام

لعلم الكلام أسماء عديدة، منها علم أصول الدين وعلم التوحيد.

#### ١- علم أصول الدين:

صنف علماء الكلام مؤلفات كثيرة تناولت موضوعات علم الكلام تحت اسم أصول الدين، مثل الأربعين في أصول الدين للجويني، والأربعين في أصول الدين لأبي حامد الغزالي، والأربعين في أصول الدين للفخر الرازي.

ويقصد بأصول الدين أي أمهات العقائد المتعلقة بمعرفة الله عز وجل ووجدانيته وصفاته ورؤوس موضوعات العقيدة كالقدر والجبر وغيرها من مسائل العقيدة وتوحيد الله عز وجل.

يقول ابن أبي العز - رحمه الله -: «علم أصول الدين أشرف العلوم. وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم، ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف

(١) الدكتور عرفان عبد المجيد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مؤسسة الرسالة،

ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه<sup>(١)</sup>.

### ومن أسمائه: ٢- علم التوحيد

وذلك لأن توحيد الله تعالى أهم مباحثه وأجزائه وأعظم مقاصده وأشرفها، لأن شرف العلم من شرف المعلوم، وهو توحيد الباري عز وجل<sup>(٢)</sup>.

### التوحيد في اللغة:

قال الفيروزآبادي: (التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له)<sup>(٣)</sup>.  
والتوحيد في الاصطلاح: (إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً)<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن القيم - رحمه الله -: (لا ريب أن العلم به [أي بالله تعالى] وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٠.

(٢) من الملاحظ أننا نجد أن بعض علماء الكلام اشتطوا ووقعوا في الخذور حيث جعلوا من الشك في الباري جل وعلا واجباً على المكلف حتى يصل بالنظر والعقل إلى أنه واجب الوجود على الحقيقة.

(٣) القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٤٣.

(٤) محمد السفاريني الخنيلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ، ج ١، ص ٥٧.

وجوده إلى الملك الحق المبين، ومفتقر إليه في تحقيق ذاته وأبنيته، وكل علم فهو تابع للعلم به ومفتقر في تحقيق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم كما أنه سبحانه وتعالى رب كل شيء ومليكه وموجده<sup>(١)</sup>.

والحقيقة، إن التوحيد هو أول واجب يجب على الإنسان المكلف، وهو أول ما يدخل به في الإسلام وأخر ما يخرج به من الدنيا، يقول رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» [أبو داود].

ولقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه لليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه لا إله إلا الله»، وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله وحده» [أخرجه البخاري].

## أنواع التوحيد

### يتنوع التوحيد إلى نوعين:

الأول توحيد المعرفة والإثبات، ويسمى أيضاً توحيد العلم والاعتقاد وهو يشمل توحيد الربوبية أو توحيد الأسماء والصفات.

والنوع الثاني: هو توحيد الإرادة والقصد، ويسمى أيضاً الطلب والقصد، أو التوحيد القصدي الإرادي، ويقصد بهذا النوع توحيد العبادة.

أما عند النظر إلى التوحيد باعتبار متعلقه فإنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية.

فتوحيد الربوبية لبيان أن الله تعالى وحده خالق كل شيء، وتوحيد الأسماء والصفات للكلام في صفات الله تعالى.

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، جـ ١، ص ٨٦.

وتوحيدُ الإلهية بيان قصر العبادة على الله تعالى، فلا يعبد معبود سواه فهو وحده لا شريك له.

والحقيقة إن الصلة بين أنواع التوحيد متلازمة إذ أن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يستلزمان توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمنها. وهذا يعني بكل وضوح أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، بمعنى أن الإيمان بوحداية الله وتقديم العبادة له، لا يحصل إلا من أقرَّ بأن هذا الإله المعبود هو رب العالمين، لأن العبادة لا تصرف حقيقة إلا للرب المتصف بالكمال، المتره عن النقص<sup>(١)</sup>.

### علم الفقه الأكبر:

وقد سماه بهذا الاسم الإمام أبي حنيفة النعمان -رضي الله عنه- لأنه يبحث في أمور العقيدة فهو: الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع<sup>(٢)</sup>.  
والاسم المعروف به هو علم الكلام:

ولعل ذلك راجع لما فيه من المناظرة على البدع، وهي كلام صرف، وليست براجعة إلى عمل<sup>(٣)</sup>.

أو سمي علم الكلام؛ لأن مسألة الكلام كانت من أشهر مباحثه، وأكثرها نزاعاً وجدالاً<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد أحمد خليل الملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، دار ابن تيمية الرياض، ١٤١٢هـ، ص ١٢٢.

(٢) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٥.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٦٥.

(٤) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٣٢.

فمسألة كلام الله هل هو محدث أم قدم كانت أشهر المسائل التي بحثها رجال هذا العلم فمسألة الكلام في ذات الله - تعالى - كانت أبرز مباحثه، أو لأنه يورث القدرة على الكلام وإلزام الخصوم بالحجج.

### ثالثاً: موضوع علم الكلام وفائدته في نظر علمائه:

يتناول علم الكلام، أركان الإيمان الستة وما يتعلق بمبادئ الإيمان، كالإيمان بالله تعالى وصفاته وأفعاله، ومسألة الإيمان بالقدر، ومسألة النبوة وغيرها من العقائد الدينية.

وعن موضوع علم الكلام وفائدته في نظر علماء الكلام:

يقول أبو حيان التوحيدي: «وأما علم الكلام فإنه باب من الاعتبار في أصول الدين يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين والتقبيح، والإحالة والتصحيح، والإيجاب والتجويز، والاعتذار، والتعديل والتجويز، والتوحيد والتفكير. والاعتبار فيه ينقسم بين دقيق يسفرّد العقل به، وبين جليل يُفزع إلى كتاب مقادير الله تعالى فيه. ثم التفات في ذلك بين المتحلين به على مقاديرهم في البحث والتنقيب، والفكر والتجوير، والجدل والمناظرة والبيان والمفاضلة، والظفر بينهم بالحق سجال، ولهم عليه مكر ومجال، وبابه مجاور لباب الفقه، والكلام فيهما مشترك. وإن كان بينهما انفصال وتباين، فإن الشراكة بينهما واقعة، والأدلة فيهما متضارعة. ألا ترى أن الباحث عن العالم في قدمه وحدثه، وامتداده وانقراضه، يشاور العقل ويخدمه، ويستضيء به ويستفهمه؟ كذلك الناظر في العبد الجاني هل هو مشابه للمال فيرد إليه، أو مشابه للحر فيحمل عليه؟ فهو يخدم العقل ويستضيء به»<sup>(١)</sup>.

(١) في كتابه: لمرات العلوم، المطبوع مع كتاب "الأدب والإنشاء في الصداقة والصدق" ص ١٩٢.

وهذا يعني بالطبع أن علم الكلام يهتم في موضوعاته ببحث أمور الدين في ضوء العقل ومناهجه مبتغيًا من وراء ذلك تأسيس التواحي الإيمانية وإقامة العقيدة والدفاع عنها ونصرتها من خلال فهم العقل لمضمون الإيمان الصحيح.

ويحدثنا العلامة ابن خلدون في مقدمته عن فوائد علم الكلام فيقول: «فائدة علم الكلام في آحاد الناس وطلبة العلم معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجاج الفطرية على عقائدها»<sup>(١)</sup>. ولعلم الكلام أهداف متعددة أهمها التصدي أمام دعاوى الضالين وأصحاب البدع والمبطلين. يقول عثمان الدارمي (ت ٢٨٠هـ) وهو من رجال الحديث الذين اشتغلوا بالدفاع عن العقيدة يقول: أنه بعد أن ظهرت البدع من أهلها، وجب على العلماء التصدي لهم بالتكذيب والتكفير، منافحة عن الله كيلا يسب ولا تعطل صفاته، وذبا عن ضعفاء الناس كيلا يضلوا بمحتتهم هذه، من غير أن يعرفوا ضدها من الحجج التي تبطل دعواهم وتبطل حججهم. أو طمعتهم معشر الجهمية والواقفة أن تنصبوا الكفر للناس إمامًا تدعوهم إليه وتسكنوا أهل السنة عن الإنكار عليكم، حتى يروج على الناس ضلالكم؟ لقد أسأتم بأهل السنة الظن، ونسبتموهم إلى العجز والوهن»<sup>(٢)</sup>.

ويسزعم علماء الكلام أن من أبرز وأهم فوائد علم الكلام العمل على حفظ قواعد الدين ضد شبه أعدائه وإيضاح حجج الدين القيم أمام خصومه يقول الإيجي عن فائدته: «الرقمي من حضيض التقليد إلى

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣١. طبعة الشعب.

(٢) النقض على بشر المرسي، باختصار بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، ص ١٠٧-

ذروة الإيقان» ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات﴾ .

والفائدة الثانية: إرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة، وإلزام المعاندين بإقامة الحججة.

والفائدة الثالثة: حفظ قواعد الدين عن أن تزلزها شبه المبطلين.

والفائدة الرابعة: أن يبنى عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها وإليه تؤول أخذها واقتباسها.

الفائدة الخامسة: صحة النية والاعتقاد. إذ بما يرجى العمل. وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين»<sup>(١)</sup>.

ويشارك الشعراي (٩٧٦هـ) غيره من العلماء القائلين بأن علم الكلام هدفه ردع الخصوم بالنظر العقلي فيقول: «اعلم رحمك الله أن علماء الإسلام ما صنفوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى، وإنما وضعوا ذلك ردعاً للخصوم الذين جحدوا الإله، أو الصفات، أو الرسالة، أو رسالة محمد ﷺ بالخصوص، أو الإعادة في هذه الأجسام بعد الموت، ونحو ذلك مما لا يصدر إلا من كافر. فطلب علماء الإسلام إقامة الأدلة على هؤلاء، ليرجعوا إلى اعتقاد وجوب الإيمان بذلك لا غير.

وإنما لم يبادروا إلى قتلهم بالسيف رحمة بهم، ورجاء رجوعهم إلى طريق الحق، فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي ينساقون بها إلى دين الإسلام، ومعلوم أن الراجع بالبرهان أحق إيماناً من الراجع بالسيف، إذ

(١) المواقف للأيجي ص ٨. وهو نفس ما ذكره التهانوي من علماء القرن الثاني عشر

المجري في كشافه كشاف اصطلاحات الفنون (ص ٢٣، ٢٢).

الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق، وصاحب البرهان ليس كذلك،  
فلذلك وضعوا علم الجواهر والعرض، وبسطوا الكلام في ذلك، ويكفي  
في العصر الواحد واحد من هؤلاء<sup>(١)</sup>.

فعلماء الكلام يرون أن علم الكلام من فوائده الحجاج عن الدين  
كما يورث صاحبه القدرة على الكلام في أصول الدين ويساعده على  
معرفة أصول دينه.

#### رابعاً: علم الكلام بين المهاجمين والأنصار:

من المؤيدين لعلم الكلام المصعبي الأباضي حيث يقول: «وفائدة  
علم الكلام الترقى من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، وإرشاد  
المسترشدين بإيضاح المحجة، وإلزام المعاندين بإقامة الحججة، إن علم  
الكلام أهم الأمور وأعلاها، وغايته أشرف الغايات وأنفعها، ودلائله  
يقينية، يحكم بها صريح العقل، وقد تأيدت بالنقل»<sup>(٢)</sup>.

أمّا علماء السلف فقد هاجموا علم الكلام هجوماً عنيفاً وذموا  
أصحابه ذمّاً شديداً، ولعل الإمام ابن تيمية من أبرز المقاومين لهذا العلم  
وقال: (السلف استفاض عنهم ذم المتكلمين وذم أهل الكلام مطلقاً)<sup>(٣)</sup>.

بل إن من علماء الخلف من يتفق مع السلف في وجهة النظر هذه  
كما قال طاش كبرى زاده: «إن السلف من الفقهاء والمجتهدين، قد  
ينقل عنهم النكير في حق علم الكلام، حتى أن كثيراً من فقهاء عصرنا

(١) البواقيت والجواهر للشعراني ج ١ ص ٢٢.

(٢) المصعبي، عبد العزيز بن إبراهيم، معالم الدين، عمّان، ١٤٠٧هـ، ج ١ ص ٢٠.

(٣) ابن تيمية، النبوات، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت،

أنكروا على المشتغلين بعلم الكلام أشد الإنكار، متمسكًا بما ورد في ذلك عن العلماء الأخيار»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عبد البر في جامع البيان وفضله: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء. وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الخطابي: اعلم أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام، وهذا النوع من النظر عجزاً عنه ولا انقطاعاً دونه، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتتها وحذروه من سوء مغبتها، وقد كانوا على بينة من أمرهم وعلى بصيرة من دينهم، ورأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته وتوقيف السنة وبيانها غنىً ومدوحة عما سواهما<sup>(٣)</sup>.

### موقف الفقهاء من علم الكلام:

قال أبو حنيفة - رحمه الله -: لعن الله عمرو بن عبيد (المعتزلي)، فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيه من الكلام. وقال محمد بن الحسن (تلميذ أبي حنيفة) - رحمه الله -: وكان [أي أبي حنيفة] يحثنا على الفقه وينهى عن الكلام<sup>(٤)</sup>.

(١) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ٢ ص ١١٧.

(٣) السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النشار، مكتبة عباس الباز، مكة المكرمة، ص ٩٣، ٩٤.

(٤) انظر السفاريني، لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ١٠٩.

وَسُئِلَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ: مَا تَقُولُ فِيمَا أَحَدَتْ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْأَعْرَاضِ وَالْأَجْسَامِ، فَقَالَ: «مَقَالَاتُ الْفَلَسَفَةِ، عَلَيْكَ بِالْأَثَرِ وَطَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ مُحَدِّثَةٍ فَإِنَّمَا بَدْعَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو يُونُسَ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ تَزَنَّدَقَ<sup>(٢)</sup>.

### موقف الإمام مالك من علم الكلام:

قال الفقيه المحدث العراقي عبد الرحمن بن مهدي -رحمه الله-: دخلتُ على مالك بن أنس -رضي الله عنه- وعنده رجل يسأله عن القرآن والقدر، فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرًا، فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان علمًا لتكلم به الصحابة والتابعون -رضي الله عنهم- كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل<sup>(٣)</sup>.

### موقف الإمام الشافعي من علم الكلام:

يعد الإمام الشافعي من أشد الفقهاء إنكارًا وذمًا لعلم الكلام حتى أنه كان يقول: «لأن يُتلى المرء بكل ذنب هوى الله عنه، ما خلا الشرك، خير له من أن يتلى بالكلام»<sup>(٤)</sup>.

وقال الشافعي: لسو أوصى رجل لأهل العلم، لم يدخل أهل

(١) السيرطي، صون المنطق، ص ٣٢.

(٢) ابن عساكر، تبين كذب المفتري، ص ٣٣٢.

(٣) انظر ابن مسعود الفراء البغوي، شرح السنة، تحقيق الأرنؤوط والشاويش، المكتب

الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ج ١ ص ٢١٧.

(٤) البيهقي، مناقب الشافعي، ج ١ ص ٤٥٣.

الكلام... ولو أن رجلاً أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام، لا تدخل في الوصية لأنها ليست من كتب العلم<sup>(١)</sup>.

وقال البغدادي في الفرق بين الفرق: وقد أشار الشافعي في كتاب القياس إلى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء. وبه قال مالك وفقهاء أهل المدينة<sup>(٢)</sup>.

حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجرید ويحملوا على الإبل، ويطافُ بهم في العشائر والقبائل، وينادي عليهم: هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام<sup>(٣)</sup>. وكان الشافعي يعتبر أهل الكلام أهل بدعة ويقول: «إياكم والنظر في الكلام، فإن رجلاً لو سُئِلَ عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها، أو سئل عن رجل قتل رجلاً، فقال: دَيْتُهُ بيضة! كان أكثر شيء أن يضحك منه. ولو سُئِلَ عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها تُسبَّ إلى البدعة»<sup>(٤)</sup>.

لكن من زاوية أخرى نلاحظ أن هناك من يؤول كلام الشافعي بل يرى أنه من المجوزين للاشتغال به بمعنى خاص. فقد ذكر ابن عساكر أن الشافعي كان يتكلم عن حفص الفرد الذي ناظره وكلام أمثاله من أصحاب الأهوية «وما يزخره أرباب البدع المردية، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه، وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه وقد تكلم

(١) البغوي، شرح السنة، ج١ ص ٢١٨.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢

م، ص ١٥٦.

(٣) البيهقي، مناقب الشافعية، ج١ ص ٤٦٢.

(٤) السيوطي، صون المنطق، ص ١٥٠.

مع غير واحد ممن ابتدع وأقام الحجة عليه حتى انقطع»<sup>(١)</sup>.

ويحمل طعنه في علم الكلام على عدة تأويلات منها — أن الفتن العظيمة وقعت في ذلك الزمان بسبب خوض الناس في مسألة القرآن وأهل البدع استعانوا بالسلطان وقهروا أهل الحق ولم يلتفتوا إلى دلائل المحققين فلما عرف الإمام الشافعي — رضي الله عنه — أن البحث عن هذا العلم في ذلك الزمان ليس لطلب الحق وليس لله وفي الله، بل لأجل الدنيا فلا جرم أن تركه وأعرض عنه وذم من اشتغل به.

والثاني أن يصرف ذلك الذم إلى الكلام الذي كان أهل البدعة ينصرونه ويقرونه فقد كان الكلام في ذلك الزمان اسماً للمتكلم في الاعتزال والقدر.

والثالث — لعنه كان مذهبه — أي الإمام الشافعي —: أن الاكتفاء بالدلائل المذكورة في كتاب الله — عز وجل — واجب وأن الزيادة عليها والتوغل في المضايق التي لا سبيل للعقل إلى الخوض فيها غير جائز فهذا بالغ في ذم من حاول الخوض في تلك الدقائق<sup>(٢)</sup>.

وإنني أتفق مع رأي الدكتور يحيى هاشم حين يرى<sup>(٣)</sup> أن التوجيه الأول من كلام فخر الدين الرازي ربما كان بجانباً للصواب باعتبار ما اشتمل عليه من تحديد زمني لواقعة الاضطهاد في مسألة خلق القرآن، وذلك لما نعلمه من أن الاستعانة بالسلطان في مسألة خلق القرآن إنما

(١) تبين كذب المفتري لابن عساكر، ص ٣٢٥.

(٢) مناقب الشافعي للرازي ص ٦٤، ٦٥.

(٣) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل ص

كانت في عصر المؤمن من بعد.

أمَّا ما روي في إطلاق اسم علم الكلام والمتكلم على البدع وأهلها، وعلى الخائضين في دقائق المسائل خاصة، فإنه يصحح التوجيهين الثاني والثالث. والدكتور يحيى هاشم من أشد المدافعين عن علم الكلام في العصر الحديث يقول: "أمَّا ما استند إليه المانعون في ذم علم الكلام من أنه لم يشتغل به الصحابة فليس سببًا كافيًا في إقناع الكثيرين بالكف عنه؛ لأن علم الكلام ظهر في وقت كانت فيه بوادر العلوم الأخرى تظهر، والحاجة إليها جميعًا تتبين، فقد عاش في عهد المنصور العباسي واضعو العلوم اللغوية، سيبويه، والخليل، والكسائي، وفي سنة ١٤٣هـ — كما روى الذهبي بدأ علماء المسلمين يصنعون مؤلفات تتناول الأحاديث، والفقه، وتفسير القرآن، ومن المعروف أن الصحابة لم يشتغلوا بشيء من هذه العلوم على الوجه الذي ظهرت به كعلوم متخصصة أو شبه متخصصة، ولو ضح أن عدم اشتغالهم بعلم الكلام كاف في منعه لكان ذلك صحيحًا أيضًا بالنسبة لهذه العلوم.

ومن هنا اتجه البعض إلى الاشتغال به بأسلوب بعيد عن البدعة والخفاء مثل ما كان عليه أبو حنيفة — رضي الله عنه —، ومن هنا أيضًا حصل التردد بين المنع والإجازة.

والحقيقة إن هناك عددًا من علماء المسلمين جوزوا الاشتغال بعلم الكلام ومسائله. ومن هؤلاء العلماء المحوزين "أبو الحسن الأشعري" الذي وضع رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام. رد فيها على دعوى الخنابلة الذين ذموا علم الكلام ونهوا عن الخوض فيه.

ونظرًا للأهمية البالغة لرسالة الأشعري التي تعبر بصدق عن مذهب الأشعري ودفاعه عن المتكلمين فإننا نورد هذه الرسالة بتمامها في

ملحق الكتاب لأنها تعدُّ في رأينا أبلغ رسالة تبين آراء المجوزين للاشتغال بعلم الكلام ومسائله<sup>(١)</sup>.

والحق أن الأشاعرة وضعوا علم الكلام على أسس من الأدلة العقلية والنقلية فحفظته من محاولات هدمه، لكن الأشاعرة أوجبوا على الناس معرفة الأدلة التي تذرعوها بها إلى إثبات العقائد فعندهم أن الجهل بالدليل يؤدي إلى عدم المدلول حتى جاء الإمام الغزالي والإمام الفخر الرازي فحللا الناس من هذا القيد وقالوا: قد يكون في الدليل الذي تقرر عند الأشاعرة ضعف أو قد يوجد عند سواهم دليل أقوى منه فلا معنى للحجر على الأذهان والعقول ما دامت الغاية والمهدف تأكيد العقيدة ورسوخها وثبات اليقين.

وأيضاً من المجوزين للاشتغال بعلم الكلام ومسائله الحسن البصري — رحمه الله — وذلك في رسالة ذكرها صاحب المنية والأمل، أرسلها إلى عبد الملك بن مروان، ويقال أنه أرسلها إلى الحجاج. وكان موضوع الرسالة أصلاً القضاء والقدر وأفعال العباد، وفي الرسالة نجد قوله: «لم يكن أحد من السلف يذكر ذلك ولا يجادل فيه، لأنهم كانوا على أمر واحد، وإنما أحدثنا الكلام فيه لما أحدث الناس من النكرة له، فلما أحدث المحدثون في دينهم ما أحدثوه أحدث الله للمتمسكين. بكتابه ما يطلون به المحدثات، ويحذرون به من المهلكات»<sup>(٢)</sup>.

(١) "رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام" لأبي الحسن الأشعري نشرت يوسف

مكارثي اليسوعي، بيروت ١٩٥٣، ضمن ذيل كتاب "اللمع" للأشعري.

(٢) المنية والأمل لابن المرتضى ص ١٢.

### موقف الإمام أحمد بن حنبل من علم الكلام:

يقول الإمام أحمد في رسالته إلى الخليفة المتوكل العباس: ولستُ بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل أو في حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين، وأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن أحمد أيضاً أنه لما كتب إليه رجل يسأله عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم، أجابه برسالة طويلة منها قوله: «الذي أدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ»<sup>(٣)</sup>.

وأثر عن أحمد قوله: لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن قتيبة - رحمه الله -: تدبرتُ مقالة أهل الكلام، فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ويتهمون غيرهم في النقل، ولا يتهمون أراءهم في التأويل ومعاني الكتاب والحديث، وما

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع عبد الإله الأحدي، ط دار طيبة، الرياض، ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢) ابن الجوزي، تليس إبليس، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧، ص ٩٦.

(٣) البيهقي، مناقب الشافعي، ج ١، ص ٤٥٩.

(٤) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، مكتبة الخانجي

أودعاه من لطائف الحكمة، وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة، والتولد،  
والعَرَض، والجوهر، والكيفية، والكمية، والأينية<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: «لستُ بصاحب كلام، ولا  
أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل، أو  
حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم، أو عن التابعين،  
فأمّا غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود فلا يقال في صفات الرب عز  
وجل كيف ولم، ولا يقول ذلك إلا شاك»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ١٢.

(٢) الجيلاني، "العنية"، ج ١ ص ٥٦.